قصص الأنبياء

إسحاق عليه السلام ويليه لوط عليه السلام

رسوم
عبدالمرضي عبيد

المركز العربي الحديث

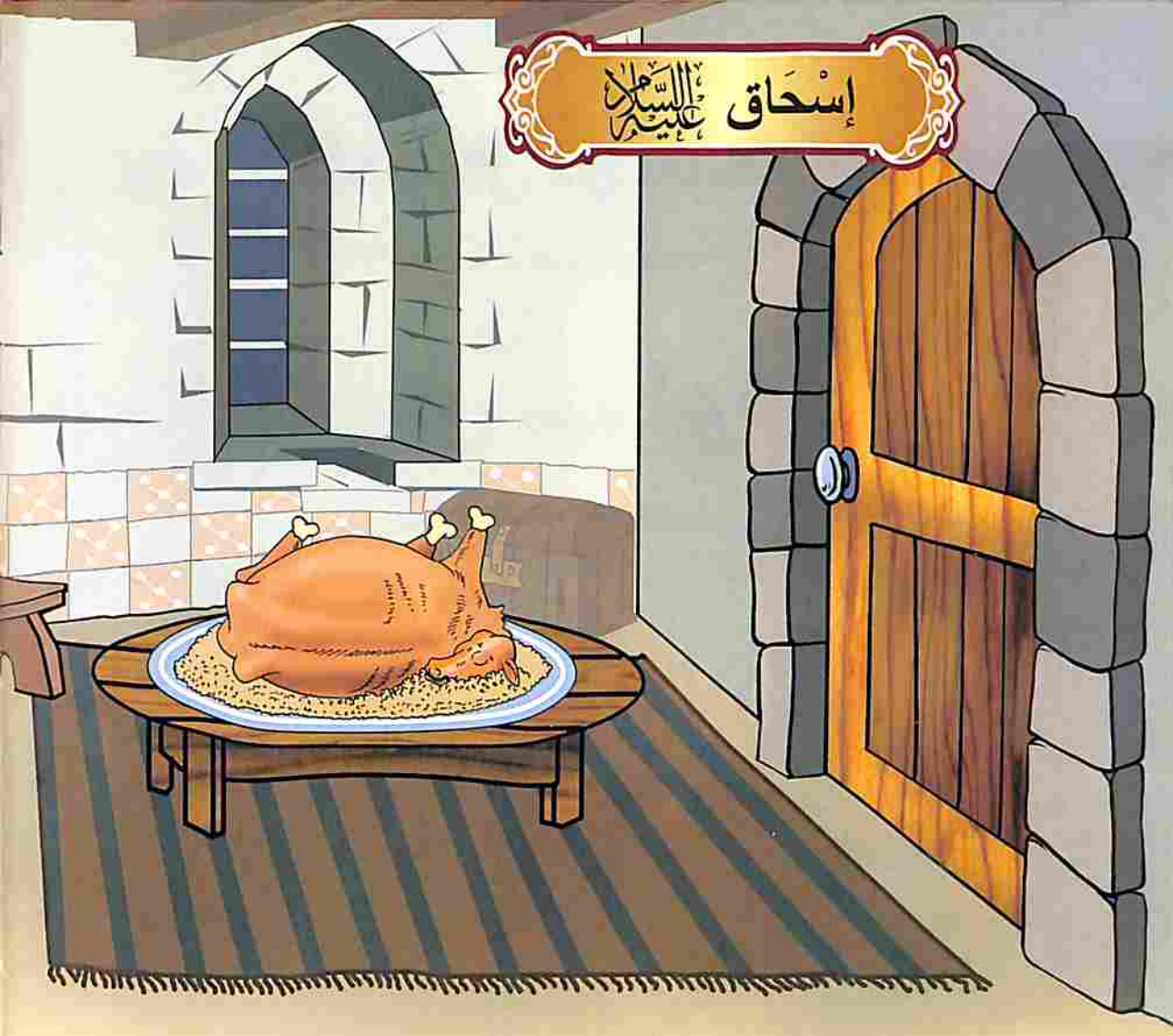

إسحاق (عليه السلام)

عَادَ إبْرَاهِيمُ (عليه السلام) مِنْ مِصْرَ وَمَعَهُ زَوْجَتُهُ سَارَّةُ وَجَارِيَتُهَا هَاجَرُ، فِي ذَلِكَ الوَقْتِ كَانَتِ السَّيِّدَةُ سَارَّةُ عَجُوزًا قَارَبَ عُمْرُهَا المِائَةَ عَامٍ دُونَ إنْجَابٍ، عِنْدَ ذَلِكَ فَكَّرَتْ أَنْ تَهَبَ جَارِيَتَهَا «هَاجَرَ» لِزَوْجِهَا إبْرَاهِيمَ

(عليه السلام) لِيَتَزَوَّجَهـا ، عَسَـاهُ أَنْ يُنْجِبَ مِنْهَـا ، وَبِالفِعْلِ تَزَوَّجَ إبْرَاهِيمُ (عليه السلام) السَّيِّدَةَ هَاجَرَ وَأَنْجَبَ مِنْهَا إسْمَاعِيلَ، وَبَعْدَ مُدَّةٍ ذَهَبَ بِهِمَا إلَى أَرْضِ مَكَّةَ حَالِيًا.

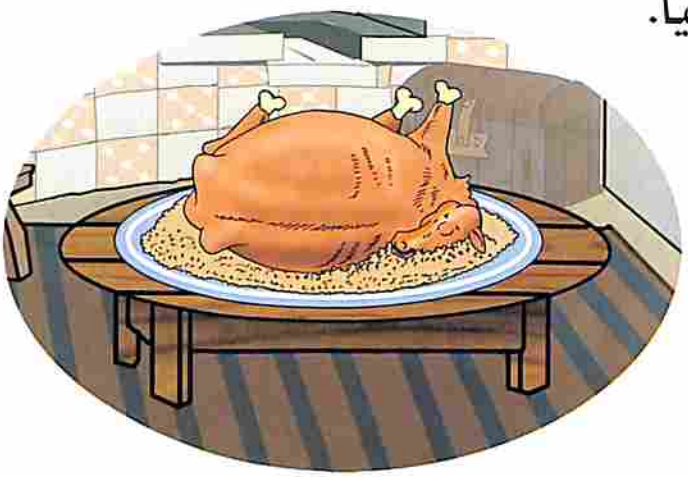

وَأَرَادَ اللهُ أَنْ تُنْجِبَ السَّيِّدَةُ سَارَّةُ، فَأَرْسَلَ ثَلَاثَةً مِنَ المَلائِكَةِ فِي صُورَةِ بَشَرٍ إلَى إبْرَاهِيمَ (عليه السلام) لِيُبَشِّرُوهُ بِذَلِكَ، وَعِنْدَمَا رَآهُمْ إبْرَاهِيمُ (عليه السلام) حَسِبَهُم ضُيُوفًا، فَسَلَّمَ عَلَيْهِم وَأَخَذَهُمْ إلَى بَيْتِهِ، وَقَدَّمَ لَهُم عِجْلاً مَشْوِيًّا؛ فَامْتَنَعُوا عَنِ الطَّعَامِ، {فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لاَ تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُواْ لاَ تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ}(هود : ٧٠).

وَكَانَتِ السَّيِّدَةُ سَارَّةُ بِالقُرْبِ مِنْهُمْ، فَضَحِكَتِ اسْتِبْشَارًا لِغَضَبِ اللهِ مِنْ قَوْمِ لُوطٍ، فَبَشَّرَتْهَا المَلائِكَةُ بِأَنَّهَا سَتُنجِبُ إِسْحَاقَ، الَّذِي سَوفَ يُنْجِبُ ابْنًا اسْمُه يَعْقُوبُ، فَعَجِبَتْ سَارَّةُ وَسَأَلَتْ فِي دَهْشَةٍ: كَيْفَ أَلِدُ وَقَدِ أَصبَحْتُ عَجُوزًا وَتَعَدَّيتُ سِنَّ الإِنْجَابَ؟ عِنْدَ ذَلِكَ قَالَتِ المَلائِكَةُ: {أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ}؟ (هود : ٧٣)

يَا وَيْلَتَا أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ {٧٢} سورة هود

وَهَكَذَا أَرَادَ اللهُ أَنْ يُولَدَ لإِبْرَاهِيمَ (عليه السلام) وَسَارَّةَ وَهُمَا فِي هَذَه السِّنِّ غُلامٌ عليمٌ هُوَ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ -عَلَيْهِمَا السَّلامُ-.

وَمَرَّتْ أَعْوَامٌ، وَكَبِرَ إِسْحَاقُ (عليه السلام)، وَاخْتَارَهُ اللهُ نَبِيًّا لِيُكْمِلَ مَسِيرَةَ أَبِيهِ إِبْرَاهِيمَ (عليه السلام) فِي الدَّعْوَةِ إِلَى اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ-.

وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ {١١٢}
وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا
مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ {١١٣}

(الصافات : ١١٢-١١٣)

لوط (عليه السلام)

كَانَتْ سَدُومُ قَرْيَةً مِنْ قُرَى الأُرْدُن، وَكَانَتْ قَرْيَةً كَافِرَةً خَبِيثَةً يَفْعَلُ أَهْلُهَا المُنْكَرَاتِ وَالخَبَائِثَ، وَيَقْطَعُونَ الطَّرِيقَ عَلَى المُسَافِرِينَ، وَيَنْهَبُونَ أَمْوَالَهُم، وَيَرْتَكِبُونَ مَعَهُم الفَوَاحِشَ، وَيُجَاهِرُونَ بِالمَعْصِيَةِ.

أَرْسَلَ اللهُ لُوطًا (عليه السلام) إِلَى أَهْلِ هَذِهِ القَرْيَةِ، فَهَاجَرَ إِلَيْهَا، وَاسْتَقَرَّ بِهَا هُوَ وَزَوْجَتُهُ وَابْنَتَاه، ثُمَّ بَدَأَ رِحْلَتَهُ فِي الدَّعْوَةِ إِلَى اللهِ .

فِي البِدَايَةِ قَالَ لَهم: {إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٠٧) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ} (الشعراء : ١٠٧-١٠٨) ، ثُمَّ بَيَّنَ لَهُمْ شَنَاعَةَ وَقُبْحَ مَا يَفْعَلُونَهُ مِنْ فَوَاحِشَ.

امْتَلأَ المَكَانُ بِضَحِكَاتِ القَوْمِ الكَافِرِينَ، وَسَبُّوا لُوطًا (عليه السلام)، وَوَصَفُوهُ بِالجُنُونِ وَالخَبَلِ.

لَمْ يَتَسَرَّبِ اليَأْسُ إِلَى قَلْبِ لُوطٍ (عليه السلام) الَّذِي وَاصَلَ دَعْوَتَهُ إِلَى الطَّهَارَةِ ، وَقَالَ لِقَوْمِهِ: يَا قَوم، اتَّقُوا اللهَ وَعُودُوا إِلَى صَوابِكُم، إِنَّ مَا تَفْعَلُونَهُ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَيُخَالِفُ الفِطْرَةَ السَّوِيَّةَ الَّتِي خَلَقَنَا اللهُ عَلَيْهَا.

{فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ } (النمل : ٥٦).

وَاسْتَمَرَّ لُوطٌ (عليه السلام) يَدْعُو سَنَوَاتٍ، حَتَّى إِنَّهُ حَذَّرَهُم مِنْ عَذَابِ اللهِ - عز وجل -، وَقَالَ لَهُمْ: إِنْ لَمْ تَعُودُوا إِلَى رَبِّكُمْ فَسَيَهْلِكُكُمْ كَمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ.

هُنَا ثَارَ القَوْمُ وَقَالُوا غَاضِبِينَ: أَتَتَوَعَّدُنَا بِالعَذَابِ يَا لُوط؟ أَرِنَا هَذَا العَذَابَ إِنْ كُنْتَ صَادِقًا.

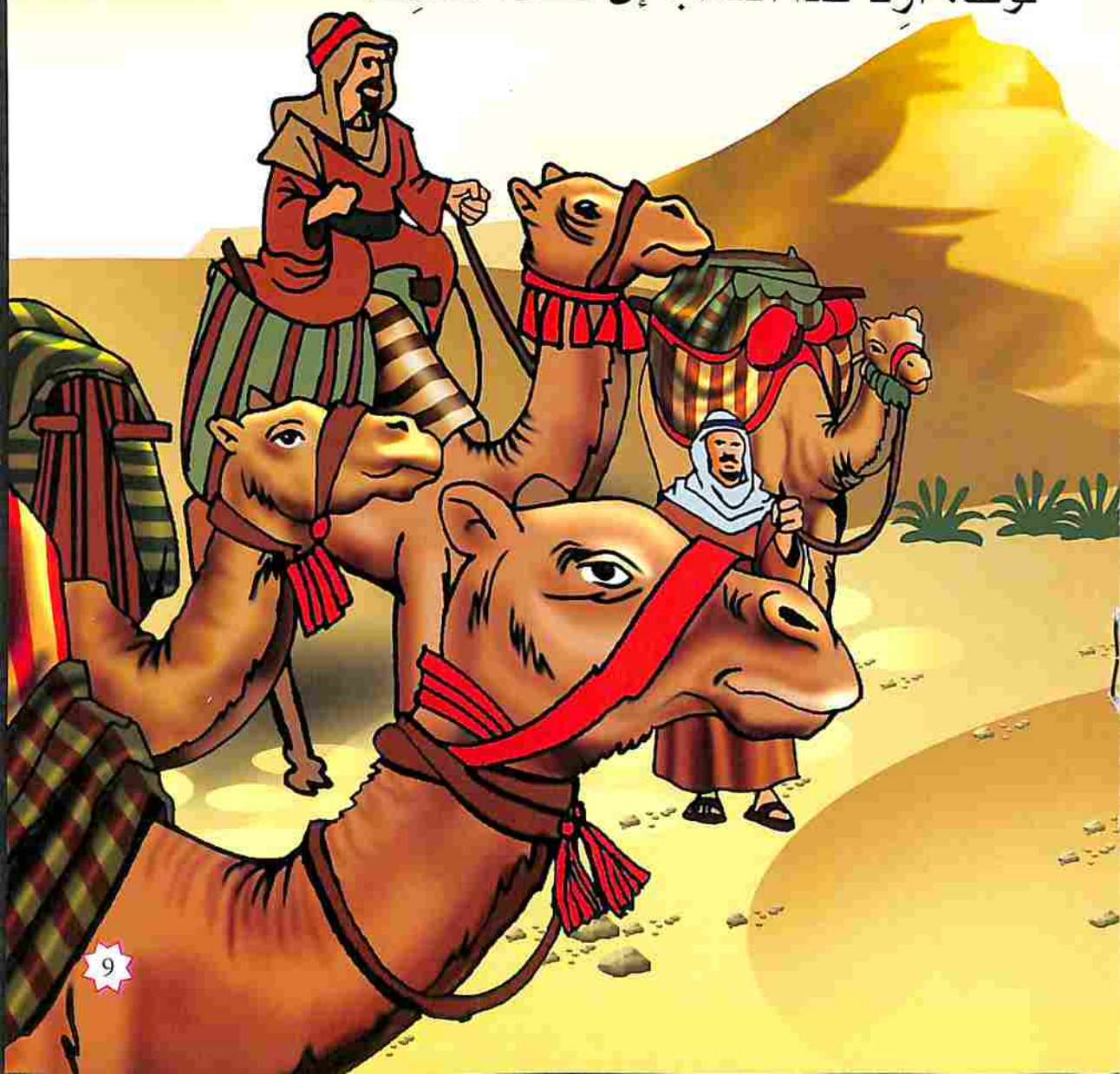

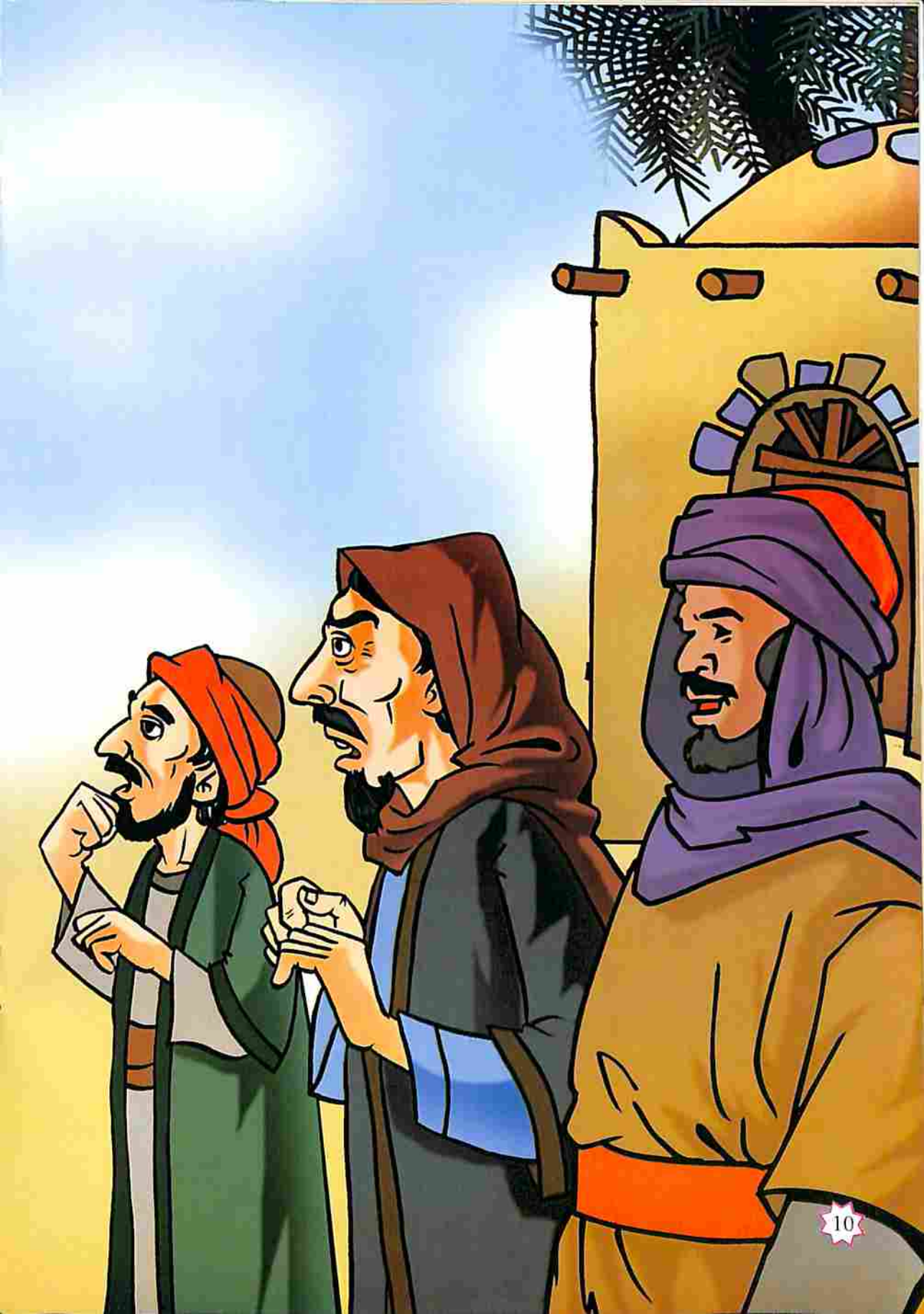

وَقَالَ آخَرُونَ: إِنْ لَمْ تَكُفَّ عَنْ دَعْوَتِكَ هَذِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ مِنَ القَرْيَةِ؛ فَلَمْ نَعُدْ نُطِيقُ صَبْرًا.

أَيْقَنَ لُوطٌ (عليه السلام) بِعَدَمِ هِدَايَةِ قَوْمِهِ؛ فَدَعَا اللهَ قَائِلاً: انْصُرْنِي عَلَى قَوْمِي يَا اللهُ.

اسْتَجَابَ اللهُ دَعْوَةَ نَبِيِّهِ لُوطٍ (عليه السلام)، وَكَتَبَ عَلَى أَهْلِ سَدُومَ الهَلاكَ ، وَأَرْسَلَ ثَلاثَةً مِنْ مَلائِكَتِهِ يُعْلِمُونَ لُوطًا بِذَلِكَ بَعْدَ أَنْ مَرُّوا بِإِبْرَاهِيمَ (عليه السلام) وَبَشَّرُوهُ بِإِسْحَاقَ (عليه السلام)، وَأَخْبَرُوهُ

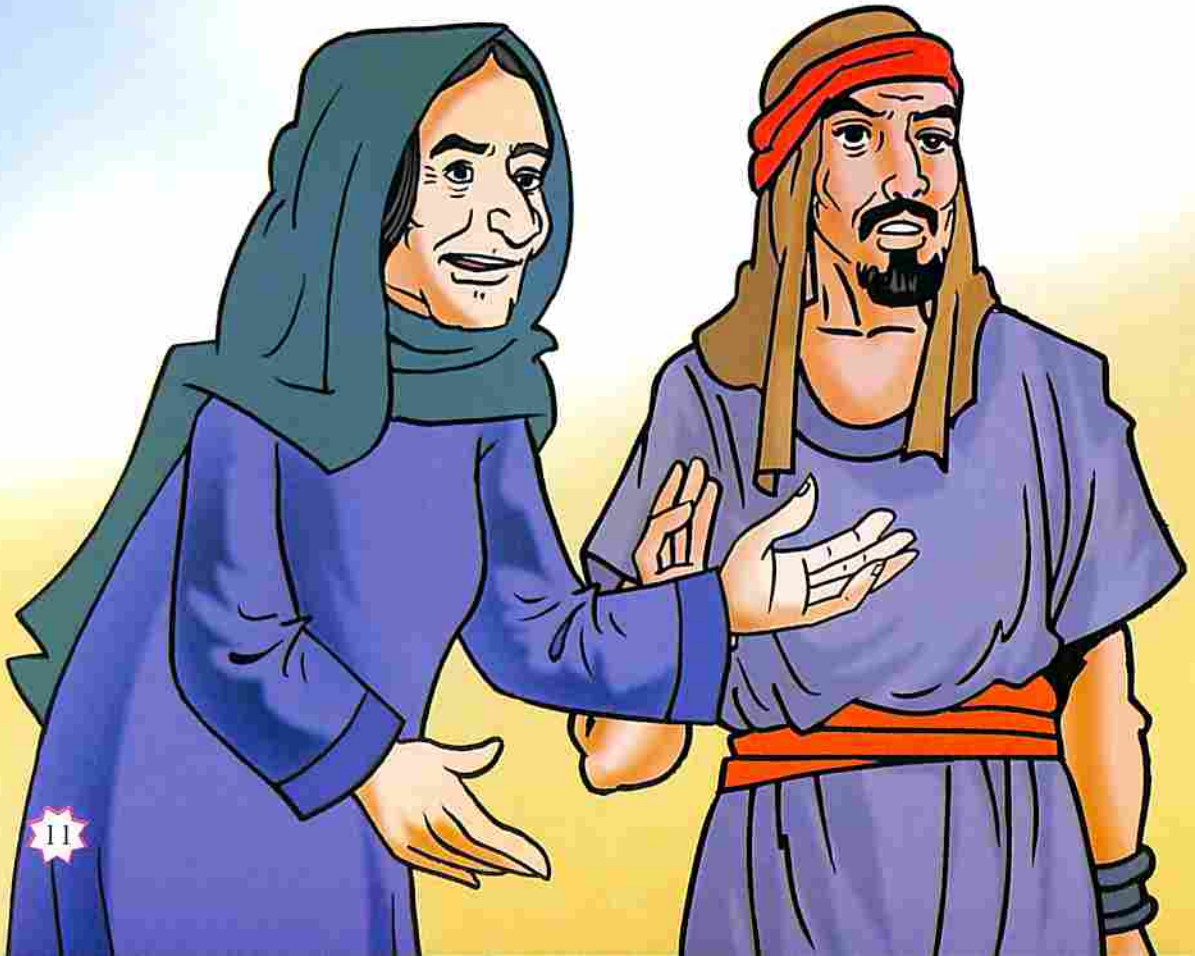

أَنَّهُمْ ذَاهِبُونَ لإِهْلَاكِ قَوْمِ لُوطٍ المُجْرِمِينَ، وَلَنْ يَنْجُوَ مِنْ هَذَا الهَلَاكِ إِلَّا هُوَ وَأَهْلُ بَيْتِهِ، عَدَا زَوْجَتَهُ الكَافِرَةَ الَّتِي سَتَهْلَكُ مَعَ قَوْمِهَا العُصَاةِ.

خَرَجَتِ المَلَائِكَةُ مِنْ عِنْدَ إِبْرَاهِيمَ (عليه السلام) فِي صُورَةِ شُبَّانٍ حِسَانٍ، وَذَلِكَ لاخْتِبَارِ قَوْمِ لُوطٍ، وَإِقَامَةِ الحُجَّةِ عَلَيْهِم، فَوَصَلُوا القَرْيَةَ بَعْدَ مُنْتَصَفِ النَّهَارِ، وَأَخَذَهُمْ لُوطٌ (عليه السلام) إِلَى بَيْتِهِ دُونَ أَنْ يَرَاهُمْ أَحَدٌ، وَلَكِنَّ زَوْجَتَهُ ذَهَبَتْ إِلَى قَوْمِهَا وَأَخْبَرَتْهُم، فَفَرِحُوا وَجَاءُوا مُسْرِعِينَ، وَطَرَقُوا بَابَ بَيْتِ لُوطٍ، وَأَخَذَتِ الطَّرَقَاتُ تَزْدَادُ، فَخَرَجَ إِلَيْهِم لُوطٌ (عليه السلام) يَرْجُوهُم قَائِلاً: {... فَاتَّقُواْ اللَّهَ وَلاَ تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ} (هود : ٧٨).

وَلَكِنَّ القَوْمَ الكَافِرِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا، وَأَخَذُوا يَتَدَافَعُونَ نَحْوَ البَابِ بِشِدَّةٍ، وَعِنْدَمَا رَأَتِ المَلَائِكَةُ ذَلِكَ طَمْأَنُوا

لُوطًا (عليه السلام) وَقَالُوا لَهُ: نَحْنُ مَلائِكَةُ اللهِ فَلَا تَخَفْ، وَخَرَجَ جِبْرِيلُ (عليه السلام) إِلَى قَوْمِهِ وَضَرَبَ وُجُوهَهُم فَعَمِيَتْ أَعْيُنُهُم!

بَعْدَهَا قَالَتِ المَلائِكَةُ لِلُوطٍ (عليه السلام) : إِنَّ اللهَ يَأمُرُكَ أَنْ تَخْرُجَ أَنْتَ وَأَهْلُكَ مِنَ القَرْيَةِ لَيْلاً، وَتَسِيرُوا دُونَ أَنْ يَلْتَفِتَ أَحَدٌ مِنْكُمْ وَرَاءَه؛ فَإِنَّ اللهَ قَدْ كَتَبَ الهَلاكَ عَلَى الكَافِرِينَ، وَفِي الصَّبَاحِ سَيحُلُّ عَلَيْهِمُ العَذَابُ.

نَفَّذَ لُوطٌ (عليه السلام) أَمْرَ اللهِ، وَخَرَجَ بِأَهْلِهِ بَعِيدًا، وَلَمَّا جَاءَ الصَّبَاحُ وَأَشْرَقَتِ الشَّمْسُ اقْتَلَعَ جِبْرِيلُ (عليه السلام) مُدُنَهُمْ وَقُرَاهُم وَرَفَعَهَا إِلَى السَّمَاءِ، ثُمَّ قَلَبَهَا، وَسَقَطَتْ عَلَيْهِم

مِنَ السَّمَاءِ حِجَارَةٌ فتَّاكَةٌ، وَعِنْدَ سَمَاعِ صَوْتِ العَذَابِ سَارَ لُوطٌ وَأَهْلُهُ دُونَ أَنْ يَلْتَفِتُوا، أَمَّا زَوْجَتُهُ فَالْتَفَتَتْ وَصَاحَتْ : وَا قَوْمَاه! فَسَقَطَ عَلَيْهَا حَجَرٌ مِنَ السَّمَاءِ فَأَهْلَكَهَا كَمَا هَلَكَ قَوْمُهَا الكَافِرُونَ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضى الله عنه - قَال :
قَالَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «يَرْحَمُ اللَّهُ لُوطًا، لَقَدْ كَانَ يَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيد».

المركز العربى الحديث
103شارع الامام على ميدان الاسماعيلية - مصر الجديدة القاهرة - تليفاكس : 26377603
مكتبة قطان
سوريا - حلب - هاتف: 3211096
E-mail:kattan.egypt@hotmail.com